مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد، فإن عملي هذا نتاج ثورتين عظيمتين اختلجتا في صدري، إحداهما: ثورة الحب الكبير الذي أكنّه لعلماء السُنّة الذين شغفوا بسنة الرسول ﷺ وأنفقوا حياتهم في تحصيلها ودراستها وإيصالها نقيّة إلى أبناء المسلمين، وهو الأمر الذي دفعني لدراسة علوم السنّة وإجلال علمائها وإكبارهم، ويأتي في طليعة أولئك العلماء المعاصرين الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر والشيخ العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني والشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ عبد الفتاح أبو غدة.

أما الشيخ عائض القرني (وإن كان يصغر هؤلاء) فلا زلت أعتبره الشخصية المعاصرة التي لم تُقَدَّم لنا سيرته وأعماله وفضله في طلب العلم[1].

---

(١) يقول الأستاذ خالد بن محمد الأنصاري: " وأما علوم الحديث فهي أمنية الشيخ عائض وجل اهتمامه؛ فقد حفظ بلوغ المرام وقرأ عمدة الأحكام وشرحه في المسجد، وكرر مختصر البخاري للزبيدي وكذلك مختصر مسلم للمنذري وكرر المنتخب للنبهاني واللؤلؤ والمرجان، وأما متن البخاري فقرأه وقرأ عليه الفتح، وطالع صحيح مسلم بشرح النووي والترمذي وغالب تحفة الأحوذي وقرأ مختصر أبي داود بتعليق الخطابي وابن القيم، وكرر جامع الأصول مرتين والمسند للإمام أحمد ثم شرح منه أكثر من مائة درس وهي في الأشرطة. وقرأ كتباً عدة في المتون: كرياض الصالحين وجامع العلوم والحكم والترغيب والمشكاة، وغالب كتب الشيخ الألباني.." ومجمل ما حفظه الشيخ عائض يزيد عن (١٠٠٠٠) حديث. وهو صاحب تقريب التقريب. البدعة وأثرها في الدراية والرواية.

ومن المتعارف عليه أن قراءة السير من الأسباب المعينة على طلب العلم والمؤدية لشحذ الهمم وقدح المواهب، كما قال بعض العلماء: " إن قراءة تراجم العلماء والتعرف على سير حياتهم وجهادهم وما بذلوه، لمّا يكون له الأثر الأكبر في الأمة؛ لما في سيرهم من الفوائد العظيمة التي تجعل طالب العلم سائراً على ما كان عليه العلماء من تعلم للعلم وعمل به، ودعوة إليه، وصبر على الأذى فيه..[١]

والثانية: ثورة الاندهاش لمئات الخطب والمواعظ الدينية والقصائد الإسلامية التي استجاب لها جيل الصحوة الإسلامي في مطلع هذا القرن على يد علماء صالحين هم الرأس في قائمة المجددين، وأذكر منهم:

سفر الحوالي.

سلمان العودة.

عائض القرني.

عبد الرحمن العشماوي "شاعر الصحوة".

ناصر العمر.

ومن هؤلاء الدعاة ومن غيرهم انبرى أدباء استطاعوا أن يمهدوا بإنتاجهم الأدبي لإيجاد مذهب الأدب الإسلامي المعاصر.

ويعتبر الشيخ عائض القرني بخطبه ومقالاته وقصائده ثم برسائله ومقاماته - فيما بعد - أحد الأدباء الذين استطاعوا في عصرنا هذا أن يمهدوا لأسلمة الأدب.

---

(١) النظائر للشيخ بكر أبو زيد، ص٢١ .

وقد ظهرت عوامل كثيرة مهدت لهذا الأدب الإسلامي عنده، لعل من أبرزها الظروف السياسية. والمراد بها ذلك الصراع المتواصل الذي يخوضه المسلمون مع أعدائهم طوال هذا القرن في أنحاء العالم الإسلامي، وإن كانت القضية الفلسطينية وجراح المسجد الأقصى في طليعة تلك العوامل التي سيطرت على أدب عائض القرني نثراً ونظماً[1].

في حين نجد أن قضية المرأة من أبرز القضايا الاجتماعية التي مهدت لهذا الأدب الإسلامي عند عائض القرني، فقضية المرأة دخلت على العالم الإسلامي مع أبعادها المتعددة، حجابها وسفورها، مساواتها للرجل، ممارستها للعمل بما يتفق مع طبيعتها حيناً وبما لا يتفق مع ذلك أحياناً.

والرجل - أقولها بأمانة - وقف من هذه القضية موقفاً إيجابياً مُشرِّفاً، فقد كان سداً منيعًا في طريق العلمانيين الناعقين بتحرير المرأة.

وموقفه من هذه القضية لا يقل في حدته وصرامته عن وقفات منبره الخالد في وجه الإسفاف ومحاربة الخنا، وقتل آلام الفقر وأحزان الفقراء، فيرفق عليهم قلوب الأغنياء من أبناء وطنهم ويدعو إلى إنشاء وتفعيل الجمعيات والمؤسسات الخيرية لهم.

وإن كانت هذه الظروف مما يثير حفائظ المصلحين والمفكرين والأدباء فإن لعائض القرني العَالِم المجدد صولات في هذا المجال وجولات خطيباً

---

(١) يعتبر الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي في الوسط الثقافي السعودي أجل من ناصر هذه القضية بلا منازع.

وكاتباً وأديباً، بل زاد على ذلك فعاش وطنياً يتلذذ بحب وطنه [١] وخطبه ومحاضراته التي ألقاها قبل أزمة الخليج وبعدها خير شاهد على ذلك[٢].

لقد عاش عائض القرني إلى يومنا هذا بضعة وأربعين عاماً، وتألق وهو لم يبلغ الثلاثين، وحمل رسالته إلى العالمين في شجاعة المؤمن، وصدق الداعية، فأنصت له الدهر، واستمعت له المعمورة، واجتمعت حوله القلوب؛ فهو الشاعر المبدع، والخطيب البارع، والكاتب الذي أوتي الفهم العميق لفلسفة التاريخ وقضايا الأدب، وهو إلى ذلك كله أصيل الفكرة في ميدان الإصلاح الاجتماعي المستمد من استقامة تفكيره، ورسوخ عقيدته، ولا نعجب من ذلك فهو القائل:

سلا القلب عن غيد صفت وحسان
وأهمل الذكر المنحني وعمان
وما عاد يلهيني الصبا بأريجه
ولو فاح بالريحان والنفلان
وخط برأسي الشيب لوحة عاشق
يقول: احذروني أيها الثقلان

---

(١) ظهر هذا واضحاً جلياً في اللقاء الأخير الذي أجرته قناة الجزيرة مع الشيخ د. عائض القرني في برنامج الشريعة والحياة بتاريخ / ١٤٢٢/هـ.

(٢) منها (طاغوت العراق)، (حزب البعث)، (عقيدة الخميني)، (مرحباً بأهل الكويت)، إلى غير ذلك من الخطب والمحاضرات التي تبث في نفوس المواطنين رباطة الجأش وحسن التوكل على الله.

وكنا نرى أن الزمان مساعد

وأن المنى والسعد مؤتلفان

إلى أن كبرنا واستفدنا تجارباً

فصارت ظنون الغيب مثل عيان

شربنا ليالي الصفو في كأس غفلةٍ

ثلاثون عاماً توجت بثمان

فمرّت كأحلام الربيع سريعة

فأيامها في ناظري ثوان

فلو أنني أرمي بقوس دفعتها

بقوة بأس واحتدام جنان

ولكن قوس العمر ينفذ أسهما

وما للفتى في ردهنَّ يدان

وفي أربعين العمر وعظ وعبرة

ويكفيك علماً شاهد الرجفان

فلما اتخذت العلم خدنًا وصاحباً

تركت الهوى والمال ينتحبان

جـعلت القـوافي الصـافنات مـراكـبي

كـأن الضـحى والليل قـد حـسـداني

يقـولون لي: فـيك اندفـاع وحـدة

فـقلت: جـمـال البـرق في اللمـعـان

ولـو كـنـت في دهـر سـوى ذا رأيـتـني

عـلى غـارب الجـوزاء خـط مكـاني

أتيت بعـصـر غـيـر عـصـري وإنـني

غـريب فـعـصـري مـفلس وزمـاني

ولي همـة لو أن للدهر بعـضـهـا

لأمـسـت له الأفـلاك في خـفـقـان

ومـا كنت مما يسلب اللهـو قلبـه

وكـيف وفي الأعـمـال سـبع مـثـان

ولي خـاطر كـالسـيل تدنو زحـوفـهُ

وجـودة ذهـن فـاض كـالزبـدان

ولا عـيـب لي إلا طـمـوح مـزلـزلٌ

يـظـل فـؤادي منـه في غـليـان

أيها القارئ الكريم:

لقد دفعني هذا الشغف العظيم إلى العناية بآثار الشيخ عائض القرني وتتبع أخباره، فهو عالم من علماء السنة، ورمز من رموز الأمة، شهد بفضله العلماء، وأنصت لكلماته البلغاء، فبيانه المشرق المتين يمتاز بالوضوح والصراحة والتميز، وأسلوبه جزل رصين يغلب عليه حضور الفكر وسرعة البديهة وخفة الروح والدعابة.

وما كانت عنايتي بآثار الشيخ وأخباره وليدة الخطرة العابرة، بل كانت وليدة التأمل الوثيق، والتفكر العميق، والمقايسة بين ما قاله علماء الأمة عنه وبين أطروحاته العلمية بمختلف أشكالها.

أحمد بن فلاح آل فلاح